

التجارة في الحجاز خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ / ٩٤٠-١١٧١م)

د.وسن سمين محمد امين
جامعة بغداد / كلية التربية - ابن رشد
قسم التاريخ

الملخص

تعد التجارة، من ابرز مظاهر النشاط الاقتصادي وقد ادت دورا في حضارة العالم وانفتاحه على بعضه ، وعليه فستكون التجارة من اقدم الانشطة الاقتصادية التي مارسها الانسان . فلقد ساعد موقع بلاد الحجاز منذ اقدم العصور على ان تكون ملتقى تجارات العالم .

إن الدراسة التي اقدمها عن التجارة في الحجاز خلال العصر الفاطمي هي لرصد حالة التبادل التجاري ودور الخلافة الفاطمية في دعم النشاط التجاري . وفيما يخص التجارة الداخلية والتي تضمنت اهم المحاصيل التجارية الصناعية والزراعية المتبادلة بين مدن الحجاز . فضلاً عن التجارة الخارجية مع الدول الاخرى سواء اكان ذلك فيما يخص دول الشرق كالهند والصين ، والصلات مع مصر والشام والعراق ، ومع اليمن ، والحبشة

Abstract

The study of economic life forms an important part top the study of the history at our present time .

The research tackles (the trade in Al-Hejaz During the Fatimid Epoch). That who is concerned with the history of Hejaz , its distinguished geographical location , the existence of holy sites in Mecca and Medina ,the coming of pilgrims from different spots of the world as Hijaj or traders , and the activity of its marketplace in the season , and then the existence of commercial ports make it form an economical integration inside the Arab peninsula and outside.

The research is as a simple attempt aims at showing the commercial activity in the cities and ports of Al- hejaz during the Fatimid caliphate (358-567 A.H. / 940 - 1171 A.C. The subject was subdivided into an introduction ,two inquires and a conclusion . The first inquiry included the internal Trade of Hejaz city which include markets and the goods imported to it .it also tackled the commercial dealings and the weigh units as well as the money.

The second inquiry shed light on the external of Hejaz ,and the importance of the Hejazian ports . In addition to speaking about the external relations which linked Hejaz with the region of the external world .

المقدمة

أن دراسة الحياة الاقتصادية لأي أمة من الأمم تشكل جانباً عظيم الأهمية في دراسة التاريخ في وقتنا الحاضر . ويتناول هذا البحث (التجارة في الحجاز خلال العصر الفاطمي)، فالمتفحص لتاريخ الحجاز وموقعها الجغرافي المتميز ووجود الأماكن المقدسة في مكة والمدينة وتوافد الزوار عليها من مختلف البقاع

حجاجاً ومتاجرين ونشاط أسواقها في هذه المواسم ومن ثم وجود الموانئ التجارية المهمة جعلها تشكل تكاملاً اقتصادياً ونشاط تجاري داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها .

ويهدف هذا البحث ولو كمحاولة بسيطة إلى إبراز النشاط التجاري في مدن وموانئ الحجاز خلال فترة الخلافة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٤٠-١١٧١م)، وقُسِّم هذا الموضوع إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة. فقد تضمن المبحث الأول: التجارة الداخلية لمدن الحجاز ويشمل الأسواق وما كان يتم فيها من عمليات بيع وشراء وما يجلب إليها من سلع مختلفة من جميع أنحاء العالم الإسلامي آنذاك، ويتناول أيضاً المعاملات التجارية وتشمل وحدات الكيل والوزن فضلاً عن النقود التي يتم التعامل بها.

أما المبحث الثاني فيلقي الضوء على التجارة الخارجية للحجاز، والاهمية التجارية لموانئ الحجاز، هذا إلى جانب الحديث عن العلاقات التجارية الخارجية التي ربطت الحجاز مع مناطق العالم الخارجي آنذاك.

وقد أعتمد البحث على جملة من المصادر والمراجع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر وفي مقدمتها الكتب الجغرافية والتي أفادت البحث بمعلومات قيمة عن الاهمية التجارية لمدن وموانئ الحجاز فضلاً عن علاقة مدن الحجاز التجارية مع دول أخرى. وتأتي مؤلفات المقرئزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) ذات فائدة كبيرة أغنت البحث بمعلومات اقتصادية مهمة مثل كتابه : (اغاثة الامة بكشف الغمة) وانتفعت منه في موضوع السكة وايضاً كتابه (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء) فهو بحق موسوعة شاملة. فضلاً عن المراجع الحديثة ومنها كتاب (الأوزان والمكييل) لفالتر هنتس والذي اعتمدت عليه في موضوع الاوزان والمكييل ، وايضاً كتاب (النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية اواخر العصور الوسطى) لعلي بن الحسين السليمان الناصر والذي اعتمد عليه البحث في عدة مواضيع وغيرها ...

وأخيراً ، فإن أصبت فذلك من فضل الله سبحانه وتعالى ، وأن أخطأت فذلك تقصير مني ..

المبحث الأول

التجارة الداخلية في الحجاز

تشكل التجارة مرفقاً حيويّاً من مرافق الاقتصاد الحجازي، ودعامة اساسية لقوتهم، فقد عرف العرب التجارة منذ أقدم العصور وكانوا ينظرون إليها على انها من اشرف الحرف وأعلاها قدراً ومنزلة، وبقيت على هذه المكانة في الإسلام.

وأصبح لأهل الحجاز مكانة مرموقة في التجارة فكانت الاسواق في شبه الجزيرة العربية مكاناً للتجارة ومحل للمفاخرة فيما بينهم فضلاً عما كانت تعرضه تلك الاسواق من السلع منها التمر، والزبيب، والادم (الجلود)، والبرود، والحيوانات وغيرها كثيراً^(١).

وكان لموقع بلاد الحجاز اهمية بالغة بالنسبة للنشاط التجاري داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها وذلك بحكم اتصالها شمالاً ببلاد الشام وجنوباً باليمن، وتتصل بمصر براً وبحراً^(٢). فمنذ أقدم العصور كانت القوافل التجارية تسير إلى مصر والشام والعراق واليمن والحبشة وكانت المراكب تأخذ طريقها إلى مصر واليمن عبر ثغور الحجاز على البحر الاحمر، فضلاً عن استقبال تلك الثغور سفناً تجارية من الحبشة والهند والصين ومصر^(٣).

أولاً: أهم الأسواق والسلع في مدن الحجاز:

تعكس الأسواق جانباً مهماً من النشاط الاقتصادي للمجتمعات فالاسواق هي أقدم اشكال النظم التجارية ، وكما كان يقصدها طالب البيع والشراء كان يقصدها طالب الأمن والغذاء^(٤). واسواق الحجاز من اهم الاسواق في بلاد العرب وبالاخص اسواق مكة وذكر ذلك المقدسي قائلاً : ((والتجارات في هذا الإقليم مفيدة لان به فرضتي الدنيا وسوق منى والبحر المتصل بالصين وجدة والجار خزانتي مصر))^(٥).

وعلى الرغم من انها بلداً غير زراعي الا انها حظيت بالموقع الجغرافي على طرق القوافل مما جعل مكة محطة تجارية^(٦). فضلاً عن وجود الكعبة الشريفة بها، مما هيأ فرصة اجتماع الناس من مختلف الاجناس لغرض الحج والمتاجرة^(٧)، ومما زاد في اهمية مكة تجارياً قربها من ميناء جدة على ساحل البحر الاحمر. وجابت قوافل مكة ارجاء شبه الجزيرة العربية في رحلاتها التجارية مصدرة ومستوردة واستقبلت في

أسواقها قوافل البر من اليمن والشام، وخرجت بقوافلها إلى تلك البلاد. ورست بثغرها جدة المراكب من شتى البلاد، حتى ان أسواقها كانت تزرخ بشتى أنواع البضائع والمنتجات المتنوعة^(٨).

وذكر ذلك ابن جببر أثناء زيارته مكة بقوله ((فالطريق إليها ملتقى الصادر والوارد ممن بلغته الدعوة المباركة))^(٩). وكانت أسواق مكة تزدهر في موسم الحج والعمرة فقد كان لها موسمان الأول في أول رجب والثاني في موسم الحج^(١٠).

ومن أهم الأسواق القديمة عكاظ ومجنة وذو المجاز وجميعها قريب من مكة، وظلت تلك الأسواق على شهرتها في موسم الحج حتى تركزت عكاظ سنة (١٢٩هـ)^(١١)، ومن ثم استغنى الناس عن تلك بأسواق أخرى في العصور التالية وهي أسواق مكة ومنى وعرفة، وسوق مكة ذاتها اغنت عما ترك من الأسواق القديمة^(١٢).

وكان هناك سوق حول الحرم ومعظمه يمتد على جانبي المسعى من الصفا إلى المروة، وخير من وصفه الرحالة ناصر خسرو قائلاً: ((وعند الجانب الشرقي للمسجد سوق تمتد من الجنوب إلى الشمال، وفي أولها ناحية الجنوب جبل أبي قبيس الذي تقع على سفحه الصفا... والمروة في نهاية السوق شمالي الجبل... وما يسمى السعي بين الصفا والمروة هو السعي في هذه السوق من أولها لآخرها))^(١٣).

وايضاً يشهد المسجد الحرام وقت الموسم قيام سوق كبيرة فيه عند باب بني شيبه وقال عنها ابن جببر: ((والمسجد الحرام كله سوقاً يُباع فيه من الرقيق إلى العقيق، ومن البُر إلى الدُر إلى غير ذلك من السلع. فكان مبيع الرقيق بدار الندوة إلى جهة باب بني شيبه، وتباع بقية الأشياء في السوق حول الحرم في البلاط الآخذ من الغرب إلى الشمال، وفي البلاط الآخذ من الشمال إلى الشرق))^(١٤).

ومن الأسواق الأخرى سوق منى، وهذه السوق تكون عامرة ايام التشريق وتقع على بعد فرسخ من مكة المكرمة وهي جزء من الحرم، وهي تعمّر في الموسم وتخلو بقية السنة ويقول عنها ابن جببر: ((ومنى في تلك الايام الثلاثة سوق من اعظم الأسواق يُباع فيها الجواهر النفيس إلى ادنى الخرز إلى غير ذلك من الامتعة وسائر سلع الدنيا، الا انها مجتمع اهل الافاق))^(١٥).

علاوة على ذلك كان هناك سوق للخضروات واللحوم وهو السوق الصغير ويقع غربي المسجد الحرام امام باب إبراهيم، وسوق بيع المجوهرات والأشياء الثمينة في سوق الشامية، اما لوازم الحجاج فتكون في سوق الليل شرقي المسجد الحرام^(١٦).

وبالرغم من ان مكة هي بلداً ليس زراعياً إلا ان المدن والقرى المحيطة بها تعد اراض صالحة للزراعة وتنتج مختلف الغلات الزراعية والتي تجد طريقها إلى أسواق مكة فمن الطائف الفواكه وخاصة العنب وتأنيها ايضاً الخضروات والجوز والسفرجل من بركة ماجن وكذلك من مزارع جبل ثور وايضاً من بساتين وادي فاطمة^(١٧). ووصف ابن جببر السوق بعد أن عدّد السلع الموجودة به فقال: ((إلى ما لا ينحصر ولا ينضب، ما لوفرق على البلاد كلها لا قام لها الأسواق النافقة، ولعمّ جميعها بالمنفعة التجارية))^(١٨).

اما بالنسبة للتجارة الداخلية بالمدينة المنورة فقد كانت ما بين اهل المدينة انفسهم، وبينهم وبين القرى المجاورة لهم ومع مدن الحجاز الأخرى وفي مقدمتها مكة والطائف وجدة حيث يفد إليها التجار لتسويق بضائعهم^(١٩)، وقام اهل المدينة بالمتاجرة مع الاعراب من اهل البادية في التمر والسمن والجبن وهو رخيص والحبوب من قمح وشعير وعدس وارز فكان الاعراب يأتون بالسمن والجبن ليشتروا به الحبوب والثياب والنحاس، ويتجرون ايضاً في الابل والغنم والخيول الجيدة التي تأتي من نجد والحمر الحساوي^(٢٠). كما كانت لمكة تجارة رائجة مع الحجاج والتجار الذين يفدون عليها من مكة للزيارة بعد أنقضاء الحج^(٢١).

وتعتمد تجارة اهل المدينة الداخلية على المحاصيل الزراعية وفي مقدمتها التمر إلى جانب السمن والالبان والخيول والاغنام والجمال، وعلى العموم فإن الحالة الاقتصادية للمدينة أفضل من مكة وذلك لكثرة تنوع محاصيلها الزراعية ووفرة المياه فيها فضلاً عن الاستقرار الداخلي الذي شهدته المدينة^(٢٢).

ومن أسواق المدينة سوق باب السلام، ويمتد من هذا الباب بالمسجد النبوي إلى الباب المصري على مسافة (٤٠٠م) في شارع ضيق لا يزيد عرضه عن اربعة أمتار، وتميز هذا السوق ببيع الأشياء الثمينة، ويليهِ سوق البلاط ويقع على يسار المتجه إلى باب السلام ثم سوق الساحة ثم سوق المناخية وتباع فيه الحبوب واللحوم والخضروات والفواكه والأشياء القديمة في مكان يقال له (سوق الحراج)^(٢٣). وكان موقع أسواق المدينة قرب الجامع فيذكر المقدسي: ((والأسواق عند الجامع لها نور وبهاء))^(٢٤).

اما التجارة الداخلية للطائف فقد كان لها شهرة في التجارة البرية أيضاً فتُصدّر الفائض من منتجاتها إلى اسواق المدن المجاورة براً وبالأخص اسواق مكة كالزبيب والحنطة والعسل والادم الطائفي ، فقد عرفت الطائف بشهرتها في تجارة الجلود لجودة أدمها فكانت تُصدّره للقبائل القاطنة بينها وبين مكة وكان لهؤلاء دوراً في انتشار أدمها في شبه الجزيرة العربية^(٢٥).

وكان في الطائف سوق تختص بنوع واحد من التجارة فهي مدينة قديمة ولاهها زراعة وتجارة وغنى وربما قاربوا اهل مكة في شأنهم التجاري^(٢٦)، ويصف ناصر خسرو سوق الطائف قائلاً : ((وللطائف سور محكم وسويقة صغيرة))^(٢٧) ، وكانت تعرض فيها مختلف الحاصلات الزراعية والمنتجات الصناعية. وشهدت جدة قيام الاسواق بها والذي شجع ذلك بانها مدينة وميناء بحري في آن واحد، ((فهي خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر))^(٢٨)، فيذكر المؤرخون ((ان لها موسم قبل موسم الحج مشهود البركة تنفق فيه البضائع المطلوبة والامتعة المنتخبة والذخائر النفيسة))^(٢٩).

ومن اسواق جدة، (سوق النذار) سُمي بذلك لندر ما يرد فيه، وسوق (نظرب) وهو سوق مستطيل في غاية اللطافة وبه اماكن للتجار وغيرها وتزخر به الاطعمة والاقمشة، وهناك سوق الجامع وسمي بذلك نسبة إلى الجامع المعروف بمسجد الشافعي ويدخل اليه القادم من باب مكة إلى اليمن ، وبجدة ايضاً سوق النبط وهو سوق ظريف يحضره صيادو السمك وفيه يُباع السمك الطري والتمر الصفري اللطيف وبعض انواع من السبح^(٣٠). وبجوار هذا السوق خان صغير ينزله التجار ويوصل لسوق آخر يسمى سوق الحراج وهذا السوق يُقام في أيام موسم الحج ولذلك يكون شديد الازدحام لكثرة الحجاج، ويوجد ايضاً سوق يُقال له (سوق برة) لانه يقع خارج المدينة المنورة وبعيد عن باب مكة ويحتوي على أبنية ودكاكين^(٣١). ووصفت أسواق جدة بأنها جميلة ومحصورة داخل سور حصين وذلك خوفاً من هجمات الاعراب^(٣٢).

ثانياً : المعاملات التجارية

أ- الأوزان والمكاييل :

عرفت الحجاز أوزان عدة وجميعها تستخدم في التجارة الداخلية ومنها (المن)^(٣٣) المعروف في جميع أنحاء العالم الإسلامي غير ان المكيين يسمونه رطلاً^(٣٤).

ويختلف المؤرخون في وزن الرطل عند الحجازيين فيذكر المقدسي أن وزن الرطل = ٢٠٠ درهم^(٣٥) ، ويذكر ابن الجاور ان الرطل = ١٣٠ درهم وهو ستة اواق ، وكل أوقيه = ٢١ درهماً وثلاث^(٣٦). بينما يذكر القلقشندي ان المن (الرطل) = ٢٦٠ درهماً ، واواقيه عشرة وكل اوقيه عشرة دراهم^(٣٧).

ويبدو ان اختلاف المؤرخين في تحديد وزن الرطل الحجازي ناشئ عن اختلاف وزنه في المدن الحجازية . اما الرطل في المدينة = ١٩٥^(٣٨).

وكانت معظم الحوائج والعطورات في مكة تباع بالرطل أو المن^(٣٩)، إلا ان هناك حوائج آخر يستدعي بيعها ارطالاً آخر ذات وزن يختلف عن الرطل الرسمي، فكان من اللحم اربعمائة درهم، وبه يُباع اللحم والشحم والهريسة والمجبنة^(٤٠)، ويتم التعامل في بعض مناطق مكة بأرطال خاصة لبيع الحاجيات كرطل المسك والعنبر^(٤١).

أما وحدات الكيل في مكة والمدينة فهي : الغرارة وهو مكيال دمشقي يماثل الاردب المصري وهي تعادل ثلاثة أراذب مصرية وتعادل الغرارة (٢٠٤.٥ كغم) قمح أو حوالي (٢٦٥ لتر) بوصفها مكيالاً^(٤٢). اما الاردب فهو مكيال مصري للحنطة يتألف من ٦ وبيات، كل وبية ٨ أقداح أو ١٦ قنحاً صغيراً^(٤٣).

ومن اكثر وحدات الكيل استعمالاً في مكة والمدينة (الصاع والمد والمكوك)^(٤٤)، فالمدرع الصاع ، والصاع ثلث المكوك^(٤٥)، وحسب الصاع أربعة امداد وهو مكيال لاهل المدينة^(٤٦)، والمد الشرعي = ١.٠٥ لتر^(٤٧).

وعرفت مكة ومدن الحجاز الاخرى نظاماً جديداً للمبادلة التجارية وهو نظام المقايضة الذي كان سائداً في تلك الفترة ويعرفه ابن الجاور بأنه ((كج بكج))^(٤٨) وكان نظام المقايضة رائجاً بين تجار مكة والواردين عليها من السرو فيقول ابن جبير: ((ومن العجيب في أمر هؤلاء المائرون أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم، انما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل فأهل مكة يعدون لهم الاقنعة والملحف المتان وما أشبه ذلك مما يلبسه الاعراب ويباعونهم به ويشارونهم))^(٤٩).

ب - السكة

تعد السكة وسيلة هامة من وسائل التعامل التجاري في البيع والشراء ترجع أهميتها الى انها توضح مدى التقدم والازدهار الاقتصادي والحضاري للدولة ، وكانت هذه العملة عبارة عن الدينار وهو الاسم الذي يطلق على النقود الذهبية ، كما كان الدرهم يطلق على النقود الفضية^(٥٠). عندما اتسعت حدود الدولة العربية الإسلامية وترامت اطرافها، اخذت كل ولاية تضرب نقوداً خاصة بها، ولكنها تحمل شعارات الخلافة التي تؤيدها ويتوفر لها الوزن الصحيح^(٥١).

أما بالنسبة للمعاملات التجارية في الحجاز في عصر الفاطميين فإنه يعتمد على دينار الذهب ودرهم الفضة ، ويبدو انه كانت بمكة دار لضرب النقود إذ يذكر ابن المجاور : ((ان نقد البلد ذهب مصري ، وبها يضرب على عيار الدينار المصري))^(٥٢).

وكان الدينار السائد آنذاك في الحجاز ومصر هو الدينار "الراضي"^(٥٣)، ولما فتح (جوهر الصقلي)^(٥٤) مصر سنة (٣٥٨هـ) عمل على اصدار عملة جديدة تحمل اسم الفاطميين فأمر بضرب الدينار المعزي في السنة ذاتها^(٥٥). واتخذت الخلافة الفاطمية بعض الاجراءات لتقوي من شأن الدينار المعزي ، فلما قدم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الى مصر سنة (٣٦٢هـ) عهد الى (يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن)^(٥٦) للإشراف على الخراج فأمتنع ان يأخذ الإديناراً معزياً فأنحط الدينار الراضي ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار ، وكان صرف الدينار الجديد خمسة عشر درهماً ونصف درهم^(٥٧).

ومما يجدر ذكره ان الدينار الراضي كان أكثر وزناً ونقاوة من الدينار المعزي الجديد ، فقد بلغ وزن الدينار الراضي ٤.٢٥ غم ، وهو الوزن الشرعي^(٥٨)، وفي الوقت الذي كانت قيمة الدينار المعزي ٤.١٩ غم ، وصل أعلى وزن له ٤.٢٣ غم^(٥٩). ومن هنا كان التشديد في فرض سكتها على المناطق والدول التابعة لنفوذ الدولة الفاطمية ، فضلاً عن العامل الاقتصادي الهام وهو الاستفادة من الفروق في وزن الدنانير التي انخفض سعرها^(٦٠).

ومن العملات المحلية التي تعامل بها اهل مكة المُطَوَّقة ، وهي والعثرية ثلثا المتقال، والمحمدية^(٦١) وهي نسبة إلى محمد بن سليمان الذي ثار بمكة سنة (٣٠١هـ)^(٦٢). ومن عملات مكة الاخرى المَرْبُقة (المزيفة) وكان لها ثمنها المحدد وان كان زهيداً وتصرف بأربعة وعشرون من الدراهم النقية، وكانت تُبطل في اليوم السادس من ذي الحجة إلى آخر الموسم^(٦٣) لدواعي اقتصادية إذ ان هذه الفترة بالذات توفر لمكة الكثير من العملات العباسية والفاطمية وبالتالي فإنها تمنع تسرب عملتها إلى خارج حدود المنطقة^(٦٤).

وقد شهدت مكة ضرب عملات بأسم امرائها، فعندما خرج الامير ابو الفتوح الحسن بن جعفر على طاعة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، وقد اشتكى للوزير المغربي قلة ما بيده من المال^(٦٥)، فأشار عليه الاخير بالاستيلاء على خزائن الكعبة وضربها دراهم ودنانير وسميت بالفتحية^(٦٦)، وعندما رجع ابو الفتوح إلى مكة من الرملة سنة (٤٠٣هـ)^(٦٧)، وصفح عنه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله واراد ابو الفتوح ان يسترضيه فضرب عملة بمكة على غرار الدينار المصري وكتب عليها أسم الحاكم بأمر الله^(٦٨). ويذكر القلقشندي ان المعاملات التجارية في المدينة المنورة هي نفسها ما كان يتم به التعامل في الديار المصرية ومكة^(٦٩).

وكان لظروف الشدة العظمى التي اصابت بلاد الحجاز وانقطاع ما كان يصلها من مصر سبباً دفعت الامير (محمد بن جعفر)^(٧٠) أمير مكة سنة (٤٦٢هـ) بأخذ قناديل الكعبة وصفائح الباب والميزاب وضربها دراهم ودنانير^(٧١).

المبحث الثاني

التجارة الخارجية في الحجاز

تمتعت بلاد الحجاز بموقع وسيط بين اسيا وافريقيا مكنها من اقامة علاقات تجارية نشطة بينها وبين جيرانها في العصور القديمة والوسطى لموقعها على الطريق التجاري البحري الموصّل بين المشرق والمغرب، ويذكر ابن خرداذبة: ((أن التجار يركبون من فرنجة في البحر العربي فيخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخاً ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الجار وجدة ثم يمضون إلى السند والهند والصين))^(٧٢)، ومن ذلك يتضح انه كان ببلاد الحجاز موانئ تجارية

مثل جدة والجار ترسو بها السفن، كما يشير هذا النص إلى دور تجار اليهود والذين أطلق عليهم المسلمين في القرن الثالث الهجري (تجار البحر) ^(٧٣).
وحري بالذكر فقد مارس اهل الحجاز ركوب البحر، واهتموا كثيراً بالتجارة البرية أيضاً وكانت لهم صلات عبر البحر بمصر والحبشة يدل على ذلك قول الطبري : ((وكانت لارض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها، يجدون فيها رفاعاً من الرزق وامناً ومتجراً حسناً)) ^(٧٤).
وهذا يدل ولاشك على وجود رحلات بحرية لاهل الحجاز بفعل النشاط التجاري البارز لقريش حتى أصبحت مكة محطة تجارية هامة للقوافل البرية القادمة من الشام أو اليمن، وساحلها مكاناً لرسو السفن.

أولاً: الأهمية التجارية للموانئ الحجازية

تمتعت بلاد الحجاز بالعديد من الثغور (الموانئ) ، ومن تلك الثغور جدة والجار والسرين. وقد اسهمت هذه الثغور الحجازية على البحر الاحمر في العصر الفاطمي إلى حد بعيد في امتداد النشاط التجاري لمكة المكرمة والمدينة المنورة إلى البلاد البعيدة. فكانت هذه الثغور على الساحل الشرقي للبحر الاحمر تستقبل السفن التجارية القادمة من اليمن والحبشة محملة بالبضائع، ثم تنقل القوافل هذه البضائع من ميناء جدة إلى مكة، كما كان لثغري الجار والسرين نشاط تجاري غير قليل، فالجار منفذ المدينة المنورة عبر البحر الاحمر ^(٧٥). ومن أهم الموانئ الحجازية :

أ- جدة

حظيت جدة بالموقع الحيوي والاستراتيجي بوصفها محطة تجارية لتموين السفن بالماء والزاد ومركزاً تجارياً رئيساً فيما يتعلق بتجارة الساحل الشرقي للبحر الاحمر، فضلاً عن إلى دوره الرئيسي كميناء للحجاج القاصدين مكة المكرمة ^(٧٦)، إذ أنها لم تكن مرفأ مكة التجاري فقط، بل مرفأ الحجاز بأسره ^(٧٧).
وازدادت أهمية جدة عندما أصبحت مرفأً تجارياً في عهد الخليفة عثمان بن عفان 0 ، ففي سنة (٢٦هـ) اعتمر الخليفة عثمان 0 واتى مكة فسأله اهله ان ينقل ساحل مكة القديم من (الشعبية) ^(٧٨) إلى جدة لقربها من مكة ^(٧٩). ونتيجة لذلك ازدهرت جدة بسرعة، فيذكر ابن جبير انه رأى بجدة أثر سور محيط بها ، وبها مسجدان ينسبان لعمر بن الخطاب 0 ^(٨٠).

وفي مجال التجارة الخارجية ساهمت جدة وبشكل كبير في تجارة الهند والصين ^(٨١)، فموقعها الوسط بين موانئ الحجاز وقربها من عدن والهند من جهة، ومن مكة المكرمة من جهة أخرى؛ وتحول طرق التجارة البحرية من الخليج العربي إلى البحر الاحمر ^(٨٢)، عامل مهم في ورود الكثير من المراكب التجارية إلى ميناء جدة فهي ((ساحل مكة الاعظم)) ^(٨٣). فكانت تستقبل البضائع الهندية والصينية وبهذا أصبحت جدة : ((بأنها محط للسفن من الهند وعدن واليمن وعيذاب)) ^(٨٤).

وكان لميناء جدة الدور الرائد في نقل المنتجات الصينية إلى مدن الحجاز الأخرى فيشير المقدسي إلى وجود اتصالات بين الصين وجدة عن طريق البحر ^(٨٥). وهذا يؤكد قول الادريسي بأن : ((لها مراكب كثيرة تنصرف إلى جهات كثيرة)) ^(٨٦).

وتواصل دور ميناء جدة في نمو مطرد في العصور الإسلامية المختلفة، وعاشت جدة في العصر الفاطمي فترة مزدهرة لازدياد مواردها المالية، فكان لانتظام مواسم الحج وزيادة عدد الحجاج ان اصاب جدة حظاً وافراً من النشاط التجاري فكانت تجلب اليها البضائع من الشرق عبر البحر الاحمر ثم تنقل برأ إلى مكة فضلاً عن ازدهار الحركة التجارية اليها من عدن ^(٨٧) وفي جدة اعتاد التجار استبدال سلعهم في اسواقها، والتهيو منها لدخول بيت الله الحرام ومتابعة تجارتهم في مكة أيضاً، بعد المكوث فيها فترة من الوقت، ثم السير منها إلى الشام ^(٨٨).

وظل ميناء جدة مركزاً هاماً من مراكز تجارة الشرق - فعلى سبيل المثال - ان التجار القادمين من بلاد الأندلس أو المغرب، اعتادوا بيع بضائعهم من الحرير والنحاس وغير ذلك من منتجات بلادهم في مدن مصر والشام، ولكن إذا حدث ولم يصادف هؤلاء التجار نجاحاً أو سوقاً تجارية لبضائعهم هناك، اتجهوا ببضائعهم إلى ميناء جدة حيث يجدون فيها اسواقاً رائجة لتجارتهم ^(٨٩).

ب - الجار^(٩٠)

وهو فرضة المدينة ، وقد أزهـر الجار في صدر الاسلام فضلاً عن بداية العهد العباسي وتواصل دوره إلى حد ما في العهد الفاطمي فيقول عنها ابن حوقل: ((وهي كثيرة التجارات والاموال))^(٩١) ، وكانت تأتيه السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن ومن البحرين والصين. وعندما قويت صلات العرب ببلاد الحبشة اختاروا ميناءً قريباً من المدينة والحبشة فأختاروا (الجار) ، وكان معروفاً منذ عصر ما قبل الإسلام إلا أنه اكتسب شهرة اكبر في العصر الإسلامي وتعهدها الخلفاء المسلمون بالاهتمام واصبحت الفرضة الرئيسية للمدينة ونالت شهرة تاريخية كبيرة^(٩٢). إلا انه بدأ بالضعف منذ القرن (٤هـ) عندما أختل نظام الأمن والاستقرار في الحجاز بضعف الحكم وداهم الاعراب وقطاع الطرق ذلك الميناء، واخذوا اهله بالنهب والسلب والقتل، ومع ذلك ظل يستقبل المراكب التجارية^(٩٣)، فيصفها ابن المجاور بأن ((المراكب الواردة من الديار المصرية ترسو فيها))^(٩٤)، مما يبين استمرار دور هذا الميناء في استقبال المراكب التجارية الواردة من الديار المصرية رغم بروز ميناء ينبع (الينبوع) كميناء تجاري مهم في تجارة البحر الاحمر أواخر القرن (٦هـ) ووائل القرن (٧هـ)^(٩٥)، فيذكر الحميري دور ميناء الجار آنذاك قائلاً: ((والمراكب اليها قاصدة ومقلعة وليس بها كبير تجارة وفيه ترسي المراكب التي تحمل الطعام من مصر))^(٩٦).

ج - السرين

تقع إلى الجنوب من مكة المكرمة على مسافة خمسة مراحل^(٩٧)، وتعد بمثابة ميناءً داخلياً لمكة. وقد وصفها ابن المجاور بأنها بناية الفرس على ساحل البحر^(٩٨)، وربما المقصود من ذلك النص بأنها كانت ميناءً للفرس منذ زمن طويل كميناء جدة مثلاً.

وفي مجال التجارة الخارجية لم يظهر للسرير نشاط تجاري بارز في القرون الإسلامية المبكرة، حيث يصفها ابن حوقل في القرن الثالث للهجرة بقوله : ((وصاحب السرير فالواصل اليه كفاء ما يقوم به وبأهله، وليست بحال تُذكر، وله على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن رسم يأخذه من الرقيق والمتاع الوارد من التجار))^(٩٩).

إلا ان موقعها على الطريق البري والبحري بين اليمن والحجاز ساهم في انتعاشها، وجعلها تسهم في حركة التجارة في البحر الاحمر من وإلى الحجاز وما جاورها، فأصبحت التجارة المورد الرئيسي لاهل السرير كاستيراد الميرة والمتاع والرقيق وتصديره ، فساهمت في توريد وتسويق منتجات السروات^(١٠٠)، وسهول تهامة من انواع الحبوب والتمور والعسل والسمن والزيت والجلود وكذا يأتي من موانئ الحبشة من الرقيق^(١٠١)، فيصفها المقدسي: ((بأنها معدن الحبوب والخيرات والتمور والعسل الكثير))^(١٠٢) ، وكان نموها التجاري متدرجاً من محطة من محطات طريق الحج إلى مكة إلى ان بلغت قمة ازدهارها التجاري في القرنين (٥، ٦هـ) .

ثانياً: العلاقات التجارية الخارجية للحجاز

أقامت الحجاز العديد من العلاقات الخارجية مع الدول المجاورة لها والبعيدة عنها ومن أهم هذه العلاقات:

أ- مع الشرق الأقصى

أن العلاقات التجارية بين العرب والهند ترجع إلى عصور تاريخية قديمة، فكانت السلع الهندية التي تصل اليمن تسلك الطريق البري الغربي لتصل الشام مارة ببلاد الحجاز. وقد أسهمت القوافل المكية بقسط كبير في نقل متاجر الهند إلى الحجاز^(١٠٣).

وبالنسبة للعلاقات التجارية التي ربطت الحجاز بالصين قديمة ايضاً إلا انها لم تكن مباشرة وانما نمت عن طريق وساطة الهند وذلك في القرن (٢هـ) ومن ثم قويت واستمرت تزداد قوة ورسوخاً في العصور الوسطى^(١٠٤).

ومن السلع التي ترد من الشرق الأقصى إلى الحجاز عن طريق المحيط الهندي والبحر الاحمر فهي: التوابل خاصة الفلفل الذي يعد من السلع المطلوبة في اوربا لضرورة استخدامه في الطعام، وكانت العادة المتبعة في وزن الفلفل في تجارة البحر الاحمر خلال القرنين (٥، ٦هـ)، هو سعر الحمل إذ كان يتراوح ما بين (٥٠-١٢٥ ديناراً)^(١٠٥).

وُجِلبت أيضاً مجموعة من السلع التي استخدمت في مجال العقاقير الطبية مثل: الدار صيني (القرفة) . وكان سعرها يعادل سعر الفلفل أو يرتفع عنه قليلاً ، وكانت التجارة في هذه السلعة مربحة. والقرنفل كان ثمنه ضعف ثمن الفلفل . (والزنجبيل والكافور) ^(١٠٦) ، وجوزة الطيب التي استعملت في الطعام والزعفران ^(١٠٧) ، هذا إلى جانب الخدم والورق الصيني الذي ظلت له الصدارة على منتوجات البلاد الإسلامية، ومن بين السلع التجارية التي صدرتها الصين الخزف الذي كان يصنع في مدن متعددة من بلاد الصين فضلاً عن الذخائر النفيسة كالجواهر والياقوت وسائر الاحجار الكريمة ^(١٠٨) .

وصدرت مدن الشرق الأقصى اضافة للسلع المذكورة العطور ومنها: (المسك ^(١٠٩)) ، والبخور، وخشب (الصندل والعنبر) ^(١١٠) ، و(الخولنجان نوع من البهار) ^(١١١) .

اما بالنسبة للعرب فقد نقلوا إلى الشرق الأقصى : الخيول، والبغال، والحمير ^(١١٢) ، وكان التجار يحملون معهم إلى الهند التمر، وزيت الزيتون، والقمح، والشعير من العراق، ويحملون معهم أيضاً ثياب الحرير والكتان من بلاد الشام ^(١١٣) .

وكانت سياسة الخلفاء الفاطميين الرامية إلى زيادة استيراد التجار الاوربيين للسلع التي تعرض في اسواق بلاد العرب، ولم تحتكر الخلافة الفاطمية تجارة الهند وانما احتكرت فقط السلع التي تحصل عليها لغرض النشاط الحربي وهي : الحديد، والخشب، والقار ^(١١٤) .

ب - مع عدن

في البدء لابد من التعرّيج الى أهم العوامل التي عملت على توطيد علاقة الحجاز التجارية مع عدن وأهمها القرب الجغرافي وموسم الحج . حيث يتوقف العديد من التجار ومن مختلف الاجناس لمزاولة الاعمال التجارية في أسواقها ، وقوافل الحجاج دوراً مؤثراً في مرافقة التجار لهذه القوافل إذ يعد الطريق الأكثر أمناً في موسم الحج . إذ يقول ابن جبير : ((يمكن إيجاد أي سلعة أو بضاعة خلال موسم الحج)) ^(١١٥) .

وقد أكد ابن حوقل على هذا الارتباط بين موانئ الحجاز وعدن فيقول : ((بأن الحجاج والتجار من الهند وجنوب شرق آسيا يصلون الى مكة وجدة من ميناء عدن)) ^(١١٦) . ويضيف المقدسي : ((ان جدة خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر اشتهرت بتقدير المحصولات الزراعية من مناطق كثيرة من اراضيها الى جانب ما كان يأتي من عدن من العنبر والشروب والبرود والعقيق وهذه السلع كان يزدهر بها سوق مكة التجاري أيام الحج ، فضلاً عن سلع الصين والهند التي تصل الى عدن ومنها الى مكة ^(١١٧) .

وقد أورد البلدانون العديد من الاستدلالات التي تدل على ازدهار العلاقة التجارية بين عدن والحجاز من النصف الثاني من القرن (٣هـ) والنصف الاول من القرن (٥هـ) . فيذكر ناصر خسرو : ((ان السفن التجارية تخرج من موانئ الحجاز مثل ميناء الجار الى موانئ اليمن على ساحل البحر الاحمر ، وقد وصلت هذه السفن الى ميناء عدن)) ^(١١٨) . وكذلك كان لقبائل السرو أثرها في الحياة الاقتصادية لمكة ، إذ كانت تذهب في ثلاث مواسم في السنة وهي محملة بالسلع المختلفة ^(١١٩) .

ومن المؤشرات على وجود تلك العلاقة التجارية بين عدن والحجاز وذلك أيام الدولة الصليحية والتي استمرت من القرن (٥هـ) الى النصف الاول من القرن (٦هـ) فكان علي الصليحي يتحكم في تجارة الحجاز عندما أصبحت مكة تحت نفوذه ، فأثر ذلك على وضعها التجاري ولاسيما حين منع التجار من الذهاب اليها فارتفعت الاسعار بها ^(١٢٠) .

ومن الواضح ان العلاقات بين البلدين كانت كبيرة فكان المؤرخ والتاجر عمارة اليمني محتكر التجارة بين عدن ومكة ، ففي سنة (٥٥١هـ) توجه عمارة من مكة الى عدن وباع فيها الفضة التي ترجع الى أمير الحرمين التي أخذها من باب الكعبة ^(١٢١) ، وهذا يدل على ثقة أمير مكة بالتاجر العدني عمارة اليمني ، فضلاً عن ان عدن تعد سوقاً للتجارة الحجازية والسلع الخاصة بالامراء .

كانت عدن تصدر الى الحجاز العنبر والبرود والعقيق وهذه السلع يزدهر بها موسم مكة التجاري في الحج ^(١٢٢) . استورد عدن من الحجاز الخزف والعباءات والاقنعة والملاحق المتان ^(١٢٣) . والورق المصري والبغدادى ^(١٢٤) . وكانت تستورد من مكة المواد الخام ويقوم بتصنيعها ثم تصدرها مثل الجلود (الادم) . وقد أوضح ذلك ابن الجاور : ((كانوا يدبغون الادم ويجلب اليهم من أعالي مكة ونجران الى عمان ومن حلي بني

زهرة الى كرمين ومن كيش وجنانة وفارس ومن بني مكرمان ومن زيلع ورचित والمنذرية ومن عدن الى مكة^(١٢٥)، كذلك تستورد التبر والعاج^(١٢٦). وبالنتيجة فان العلاقات التجارية بين عدن والحجاز كانت مزدهرة ووثيقة لقرب البلدين من بعض ولحاجتهما لتبادل السلع بينهما.

ج - مع مصر والشام

من الطبيعي ان تقوم علاقات تجارية بين الحجاز ومصر والشام وذلك بحكم الموقع الجغرافي الذي ساعد في هذا الاتصال التجاري فضلاً عن ان مصر والشام متصلتان برياً ببعضهما وهما أيضاً متصلتان بشبه الجزيرة العربية ونافذاً لها للاتصال بأوروبا عن طريق البحر الابيض المتوسط^(١٢٧). وفوق ذلك فقد ارتبط عرب الحجاز بصلات قري مع القبائل العربية القاطنة في الشام فضلاً عن العلاقات الاقتصادية التي تربطهم ببعضهم^(١٢٨).

اما بالنسبة للطريق الذي تسلكه القوافل التجارية ويوصلها بالشام فيبدأ من دمشق إلى منزل ثم إلى ذات المنازل ومنها إلى ناحية (تبوك ثم المحدثه والاقرع)^(١٢٩) ومنها إلى (وادي القرى)^(١٣٠) وتليها (قرية الرحبية)^(١٣١) وذو المروة ثم (السويداء)^(١٣٢) ومنها إلى ذي خشب وتليها المدينة ومنها إلى المنازل التي تصل إلى مكة^(١٣٣).

واهم السلع الحجازية التي تحملها القوافل التجارية إلى الشام هي: الجلود المذهبة (الأدم)، والزبيب الطائفي^(١٣٤). أما السلع التي تعود بها القوافل المكية من الشام فأبرزها: زيت الزيتون، والقمح، والسكر والطحين والحريز، والقطن، والقماش، والمنسوجات، والأسلحة^(١٣٥). وكانت قوافل الحجاج تجلب معها عند عودتها من الحج عدداً من الجمال محملة بالتوابل وتكون الاصناف الاخف وزناً، أما الثقيلة فتشحن بالسفن عبر البحر الاحمر من جدة حتى (الطور وايلة)^(١٣٦) ومنها تنقلها القوافل برّاً إلى دمشق. وقد حصلت دمشق على السلع الهندية ليس فقط من موانئ البحر الاحمر، بل من الخليج العربي أيضاً^(١٣٧).

أما علاقة الحجاز التجارية مع مصر اقرب الجارات إليها فترجع إلى اقدم العصور، وكانت تعتمد من الناحية الاقتصادية على المخصصات التي تأتيها من مصر لقلّة الزراعة بها: ((الحجاز أبداً لصاحب مصر لاجل الميرة))^(١٣٨). وقد ساهمت الخلافة الفاطمية في توفير الامن لحجاج بيت الله الحرام والتأمين على ارواحهم واموالهم، ولم يقتصر الامر على الحجاج فقط بل ان تأمين الطرق لسير القوافل عاد بالنفع على النشاط التجاري مع تلك البلاد^(١٣٩). ويخبرنا القلقشندي: ((انه كان للفاطميين اسطول بعيداب يتلقى الكارم فيما بين عيذاب وسواكن وما حولها خوفاً على مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم هناك، يعترضون المراكب فيحميمهم الاسطول منهم))^(١٤٠).

وكان للقوافل التجارية المتجهة من مصر إلى الحجاز طريقين احدهما: بحري، ويبدأ من موانئ (السويس)^(١٤١) والطور و(عيذاب)^(١٤٢) إلى جدة و(ينبع)^(١٤٣) ومنها إلى مكة والمدينة والآخر: يجهز بالقوافل برّاً ويبدأ من القسوط ثم (الجب والبويب)^(١٤٤) ويستمر إلى أن يصل إلى الحفر، ومنها إلى أيلة، (ومدين ثم شغب)^(١٤٥)، ومنها إلى وادي القرى، ثم الرحبية، وذو المروة، والسويداء ثم ذي خشب ومنها إلى المدينة^(١٤٦).

أما البضائع التي تجلب من مصر لبلاد الحجاز فهي: الثياب و (القرطيس)^(١٤٧)، والقمح، والحنطة، والدقيق، والسكر، والارز والصابون، والزيتون المملح، والعسل، والأسلحة^(١٤٨)، وقد ساهمت مصر في مد بلاد الحجاز بالمواد الغذائية وخصوصاً القمح، فيذكر المقدسي ان اكثر ميرة الحجاز من الدقيق تُرسل من مصر وتبلغ ثلاثة الاف حمل جمل في كل أسبوع كلها حبوب ودقيق^(١٤٩). وفي سنة (٣٦٨هـ) ارسلت الخلافة الفاطمية احمال كثيرة من القمح والشعير والزيت الى الحجاز^(١٥٠). كما استورد اشراف مكة الخيول من مصر^(١٥١) فضلاً عن جمال البجة المسماة النجيبيّة والتي تصدر الى الحجاز بواسطة السفن الى جدة ومنها الى اشراف مكة^(١٥٢).

وكانت مصر تستورد من الحجاز الجلود المدبوغة^(١٥٣). لقد كانت قافلة الحاج المصرية تقوم بدور كبير في النشاط التجاري إذ كان التجار والحجاج يسرون ومعهم بضائعهم الى الحجاز ويعودون ببضائع الشرق النفيسة^(١٥٤). من الواضح ان الحجاز اعتمدت في اقتصادها على مصر لدرجة ان توقف الحج من مصر الى

الحجاز كان يسبب ركوداً للتجارة في الحجاز ويؤكد ذلك ابن فهد في حوادث سنة (٥٦٢هـ) قائلاً : ((وفيها لم يبيع التجار في مكة شيئاً على عادتهم لأن حجاج مصر لم يأتوا لانشغالهم بما حدث عندهم من القتال بين نور الدين وشيركوه وبين الفرنج والمصريين))^(١٥٥). أما عن الكيفية في نقل تلك السلع فكما ورد ذكره مسبقاً، فالتجار يأتون بالسلع الثقيلة عن طريق البحر والبضائع الخفيفة المحمولة فيأتون بها على ظهر الجمال براً^(١٥٦).

الى جانب ذلك استفاد الخلفاء الفاطميون من صلات التجار الحجازيين بعدن والهند والصين في تأمين بعض ما يحتاجونه فيذكر المقرئزي : ((ان المعز انفذ الى ابن السوادكي فقال : من لك بالحجاز من التجار تكاتبه ، أكتب من تراه منهم بأن يكتب الى عدن بحمل ما يقدر عليه من خشب الابنوس الحسن التلميع التام الطول الغليظ مما لا غاية وراءه ، فكتب الى تاجر بمكة وأكد عليه ، فما كان إلا نحو شهرين حتى عاد جوابه انه وجد منه ما ليس له في الدنيا نظير وحمله في مركب فسر بذلك ، وبكر الى المعز فأخبره الخبر وانه في القلزم^(١٥٧). وهكذا كانت التجارة والتبادل التجاري بين مصر والحجاز وسيلة من وسائل الارتباط الوثيق بينهما.

د - مع العراق

ترجع العلاقات التجارية بين الحجاز والعراق إلى ما قبل الإسلام إذ كانت تربطهم علاقات تجارية مع (الحيرة)^(١٥٨)، وقد توسعت تلك الصلات التجارية لتمتد الى مناطق الجنوب مكة والمدينة طوال العام وتزداد نشاطاً في مواسم الحج.

وكان أهل مكة ينتفعون كثيراً من حجاج العراق وتجاره ، فكان أهل مكة يعتبرون الحاج العراقي اباهم الذي يكسبون منه الذهب والسرور^(١٥٩)، وكانت القوافل التجارية تتردد باستمرار على وادي القرى حتى أصبح مطرح الشام والعراق^(١٦٠). وكان تجار العراق ينقلون معهم الاديم الخفيف والزعفران^(١٦١).

واتصلت الحجاز بالعراق براً فكانت الكوفة على صلة بمكة والمدينة^(١٦٢)، ويعتبر وادي القرى محطة لاستقبال البضائع العراقية ومنها تحمل إلى مكة والمدينة^(١٦٣). والطريق الذي يصل الحجاز بالعراق فيبدأ من بغداد إلى الكوفة بعد أن يعبر نهر الفرات ثم (القادسية ، والعذيب)^(١٦٤)، ومنها إلى (الثعلبية، وفيد، ثم معدن النقرة)^(١٦٥)، ويمر في عدة مناطق وصولاً إلى (بطن نخل)^(١٦٦) ثم إلى المدينة ومنه إلى مكة المكرمة^(١٦٧).

ومن السلع العراقية التي ترد إلى الحجاز فمن البصرة: التمور بأنواعها العديدة و بكميات كبيرة وماء الورد والخز ، والحناء ، والبنفسج والملاحف^(١٦٨)؛ ومن بغداد: السجاد والثياب القطنية والحريرية وخاصة المناديل، والارز، والعمائم^(١٦٩)، ومن الكوفة : التمور ومنديل الخز الكوفية^(١٧٠). ومن واسط البسط^(١٧١).

وتأتي العباءات من بغداد والبصرة ويختلف ثمن الواحدة منها إلى أخرى^(١٧٢).

أما البضائع التي يستوردها العراق من الحجاز فهي: الخيل العرب ، ونجائب الابل، والادم، والاحذية، والنعام، والفتا ، والقرظ، والبلح، والسمن، والصوف^(١٧٣).

وكانت تجارة العراق مع الحجاز والدول الاخرى ، هي تجارة تعتمد على الاستيراد أكثر من اعتمادها على التصدير .

هـ - مع الحبشة

تعود العلاقات التجارية بين شبه الجزيرة العربية والحبشة إلى عصور موعلة في القدم فكانت التجارة العامل المهم في تلك العلاقات بين الحجاز من جهة والحبشة من جهة أخرى ، فهي قديمة ومستمرة ، فقد بدأت منذ أن خرجت مكة بتجارها الى خارج الجزيرة العربية في الوقت الذي أتصل فيه عبد شمس بالنجاشي (ملك الحبشة) وابرم معه اتفاقاً^(١٧٤). ومنذ ذلك الوقت كانت ارض الحبشة متجر لقريش يتجرون منها ويجدون فيها رفاغاً (متسعين) من الرزق وامناً ومتجراً حسناً^(١٧٥).

لقد كانت الحبشة مصدراً هاماً من مصادر التجارة العالمية ، فقد كانت تنتج البخور والاطياب وريش النعام والتوابل ، وكانت القوافل القريشية تحصل منها على هذه السلع وتحمل اليها ما تحتاج اليه من حاصلات الجزيرة العربية. ففي الشتاء تنقل قوافل قريش لاسواق اليمن سلعاً حبشية وسلعاً هندية ويمنية الى اسواق

الشام في الصيف الى جانب المنتجات الحجازية^(١٧٦). وما لم تنقله قوافل اليمن من سلع الحبشة تنقله قوافل قریش أو مراكبهم البحرية التي كانت تجلب منتجات الحبشة الى ميناء جدة ومنها تنقل البضائع براً عن طريق القوافل الى مكة المكرمة ومنها الى البحرين ومن ثم الفرات^(١٧٧).

ولابد من الإشارة هنا الى ان التجارة بين الحبشة والحجاز سلكت طريق البحر الاحمر فكانت السفن تخرج من سواحل الحبشة الى مدينة الجار في ساحل الحجاز محملة بالبضائع (كالذهب والورس والعاج والرقيق). اذن كانت الحجاز مركز تهبط اليه قوافل التجار من بلدان عدة منها الحبشة^(١٧٨).

وأهم ما يُصدر من الحبشة الرقيق - لاسيما قبل الاسلام - ، فمن دواخل الحبشة جُلب الرقيق ولاسيما من الاجزاء الجنوبية والغربية الوثنية وحملهم الى المناطق الساحلية كميناء زيلع الذي يعد من ابرز موانئ الحبشة لتصدير العبيد^(١٧٩). وكان الحجاز من المناطق التي يحمل الرقيق الحبشي اليها ، ولم يكن العرب في عصر الرسالة والعصور اللاحقة ينظرون الى هؤلاء الاحباش كرقيق ولكن كأيدي عاملة^(١٨٠).

ومن صادرات الحبشة الابل ، فكانت من أهم المناطق التي تربي فيها الابل ، ونظراً لكثرة الثروة الحيوانية في بلاد الحبشة لم يقتصر الاحباش على تصدير الحيوانات بل صدروا منتجاتها من جلود خام ومذبوغة كجلود الابقار والتمور وللخبرة أهمية خاصة في قائمة صادرات الحبشة . وروى ابن المجاور انه يجلب من مدينة زيلع الساحلية الادم^(١٨١)، ويستخدم في صناعة النعال^(١٨٢)، ومن بين السلع المستوردة من الحبشة العاج وهي المصدر الرئيسي في العصور الوسطى المتاخرة ولاسيما عاج الحبشة أو افريقيا ككل . أفضل من عاج الهند لانه من النوع الطويل والاثقل وزناً وكان يستخدم في تطعيم وترصيع المصنوعات الخشبية^(١٨٣).

ونتيجة لاتساع صادرات الحبشة وأهمية العاج جذبت الحبشة انظار التجار اليها ، حتى أصبحت انياب الافعال تصل الى بلاد الصين وفارس ومصر والجزيرة العربية ولاسيما الحجاز^(١٨٤). ومن السلع الاخرى المستوردة ريش النعام، والبخور ، والعطور ، والاشخاب ولاسيما خشب الابنوس وتعرض تلك السلع في اسواق الحجاز ولاسيما اسواق مكة موسم الحج^(١٨٥).

وهناك اشارة عن عمليات تبادل بالمنتجات الزراعية بين البلدين في القرن (٥هـ/ ١١م) إذ يذكر في ذلك البكري قائلاً : ((ان مدينة السرين من عمل مكة وفيها مزارع وأكثر زروعهم الذرة والسمسم والميرة تجلب اليها من غز وجردة ، وغز منها مسيرة عشرة أيام ، وجردة من ثغور الحبشة وهي مسيرة خمسة عشر يوماً^(١٨٦).

أما واردات الحبشة من الحجاز ، جلود الادم (الجلود المدبوغة) التي تجلب من شبه جزيرة العرب نتيجة لتوفرها في مكة^(١٨٧) والطائف وقد أولى الاحباش عناية خاصة بهذه الجلود^(١٨٨).

و- مع اليمن

كان للموقع الاستراتيجي الذي تمتعت به بلاد اليمن الاثر الكبير في تحكمهم بتجارة البحر الاحمر فكانت البلد الوحيد الذي باستطاعته نقل متاجر الشرق إلى الغرب وبالعكس.

وارتبطت الحجاز ببلاد اليمن بحراً عن طريق ميناء عدن، فكان هذا الميناء اهم ثغور اليمن البحرية والمتحكم بحركة التجارة من شرق افريقيا باتجاه الحجاز وبلاد الشام ومصر، ولاسيما عندما أصبحت اليمن تدخل ضمن ولاء الفاطميين^(١٨٩). كما ارتبطت الحجاز باليمن بطريق بري ويبدأ من مكة ويمر في قرن المنازل ثم الفتق وهي قرية كبيرة، ثم ناحية تربة ثم (تباله وبيشة)^(١٩٠)، ثم ناحية نبات حرب، ومنها إلى ناحية المهجرة في بلاد اليمن^(١٩١).

وكان يأتي إلى بلاد الحجاز قوم من اليمن بقصد التجارة يعرفون بأسم السرو فيجلبون معهم الزبيب الاسود والاحمر وكميات كبيرة من اللوز علاوة على الحنطة وبقية انواع الحبوب اضافة إلى قصب السكر والسمن، والعسل ، والذرة، والدخن^(١٩٢). ولذلك يقول عنهم المكيون : ((حاج العراق أبونا نكسب منهم الذهب والسرور أمنا نكسب منهم القوت))^(١٩٣).

وأستورد الحجازيون من بلاد اليمن : البرود والدروع السلوقية والسيوف التي اشتهرت اليمن بصناعتها^(١٩٤)، واشتهرت اليمن بمحصولاتها الزراعية وخاصة: التمر والدخن والذرة والسمن والعسل والزيت واللوز الذي يُصدر إلى مكة المكرمة^(١٩٥). وتعد اليمن من اهم الدول المصدرة للجلود وخاصة جلود البقر إلى مكة المكرمة فيقول ابن المجاور: ((انه يصدر الى اقاصي الارض وادانيها))^(١٩٦). بالاضافة إلى

البخور والثياب وأنواع الحرير الممتاز الذي اشتهرت بصناعاته مدينة زبيد والاقمشة السباعية^(١٩٧)، وايضاً العنبر الموجود بسواحل عدن^(١٩٨)، والشروب والخدم وجلود النمر^(١٩٩)، ومن واردات الحجاز الحصى إذ كان يعتبر سلعة مطلوبة في مدن بحر الحجاز وجميع هذه السلع ترفد اسواق الحجاز فضلاً عن بضائع الشرق الأقصى والتي يقبل على شرائها حجاج مصر والشام والعراق وغيرها كثير.

كانت التجارة نشطة ما بين بلاد الشام وبلاد اليمن وعمان والحجاز منذ العصور السابقة للإسلام حتى القرن (٤-٥هـ)^(٢٠٠) فقد ارتبطت عمان مع بلاد الحجاز بطريقتين بريتين الساحلي والداخلي فضلاً عن الطريق البحري اللذين كان لهما الاثر البالغ في تطور وازدهار التجارة بين عمان والحجاز هما :
أ- الطريق الساحلي : يبدأ من عمان ويسير بمحاذاة ساحل البحر الاحمر ثم يبلغ ساحل مكة الشعبية ومنها الى مكة^(٢٠١).

ب- الطريق الداخلي : ويبدأ من خولان ذي سحيم ويمر بمنازل ومواقع عديدة أهمها (وادي جلي)^(٢٠٢)، ثم يرتبط بطريق صنعاء مكة في موضع يلمم ومنها الى مكة^(٢٠٣).
أما الطريق البحري الذي ربط عمان مع بلاد الحجاز فقد وصفه الاصطخري قائلاً : ((يبدأ من موانئ عمان ويمر على موانئ مهرة وحضرموت حتى يبلغ ميناء عدن ومنها الى مياه البحر الاحمر حتى يبلغ ميناء الشعبية (جدة)))^(٢٠٤). غير ان هذا الطريق اقل سلوكاً لكثرة المخاطر في مياه البحر الاحمر.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

- ١- كان لموقع بلاد الحجاز أهمية بالغة بالنسبة للنشاط التجاري فهي تقع على طرق القوافل التجارية فضلاً عن وجود الأماكن المقدسة بها والذي جعل أفئدة المسلمين تهفوا إليها.
- ٢- قيام حركة تجارية نشطة في أسواقها والتي تعقد في موسم الحج والمواسم الأخرى والتي تعج بسلع وبضائع من مختلف أنحاء العالم الإسلامي فقد أصبحت مكة والمدينة أسواقاً تجارية، وكذلك موسم الحج موسماً تجارياً كبيراً للمسلمين.
- ٣- كانت العملة السائدة في الحجاز هي الدينار الذهبية والفضية، وكان نظام المقايضة سائداً في مدن الحجاز.
- ٤- عرفت مدن الحجاز عدد من الأوزان والمكاييل ومنها المن (الرطل) ومن المكاييل التي استخدمت في مكة والمدينة المنورة الصاع والمد.
- ٥- حظيت الحجاز بالعديد من الموانئ البحرية المهمة ومنها جدة والجار والسرين وغيرها وتصف بأنها محطات تجارية رئيسة فيما يتعلق بالتجارة مع مناطق مختلفة من العالم.
- ٦- اقامت الحجاز العديد من العلاقات التجارية الخارجية مع دول جنوب شرق آسيا (الصين والهند) ووصلت السفن الصينية عبر البحر الاحمر إلى جدة مما أدى إلى نشاط التبادل التجاري بين العرب والصين والهند؛ كما اقامت الحجاز علاقات تجارية مع العراق واليمن وغيرها.

الهوامش

- (١) الافغاني، سعيد، اسواق العرب في الجاهلية والإسلام، المكتبة الهاشمية، (دمشق، ١٩٣٧)، ص ١٦٦.
- (٢) الناصر، علي بن حسين السليمان، النشاط التجاري في شبه الجزيرة اواخر العصور الوسطى، ط ١، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٨٠)، ص ١٠.
- (٣) ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ص ٣١؛ ابن الجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩٢م)، تاريخ المستبصر، تصحيح وضبط : اوسكر لوفغرين، مطبعة بريل، (لندن، ١٩٥١)، ص ٥١؛ الفلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الاعشا في صناعة الانشاء، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ط ١، (بيروت - لبنان، ١٩٨٧)، ج ٤، ص ٢٥٨.
- (٤) الناصر، النشاط التجاري، ص ٢٥٩.
- (٥) احسن التقاسيم، ص ٩٧.

- (٦) السباعي، أحمد، تاريخ مكة، مطابع دار قريش، ط٣، (مكة، ١٣٨٥هـ)، ج١، ص٢٦.
- (٧) الجزيري، عبد القادر محمد بن عبد القادر إبراهيم (ت ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م)، درر الفوائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المنظمة، منشورات دار اليمامة، ط١، (الرياض، ١٩٨٣)، ص٧.
- (٨) زكي، نعيم، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، (القاهرة، ١٩٧٣)، ص١٣٨.
- (٩) ابو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م)، رحلة ابن جبیر، دار ومكتبة الهلال، (بيروت، ١٩٨١)، ص ٩٦-٩٧.
- (١٠) الادريسي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (من علماء ق ٦ هـ / ١٢م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٩)، ج١ ق ٢، ص ١٤١؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، دار القلم، ط١، (لبنان، ١٩٧٥)، ص ٩٣-٩٤.
- (١١) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من كبار العلماء، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٥٦)، ج٢، ص ٢٨٢-٢٨٣.
- (١٢) السباعي، تاريخ مكة، ج١، ص ٤١.
- (١٣) أبو معين الدين القبادياني المروزي (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م)، سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، (القاهرة، ١٩٤٥)، ص ١٢١-١٢٢.
- (١٤) رحلة ابن جبیر، ص ١٦٠.
- (١٥) م. ن.، ص ١٥٧.
- (١٦) رفعت، إبراهيم، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية، دار الكتب المصرية، ط١، (القاهرة، ١٩٢٤)، ج١، ص ٢٠٧.
- (١٧) رفعت، مرآة الحرمين، ج١، ص ٢٠٦-٢٠٧.
- (١٨) رحلة ابن جبیر، ص ٩٧.
- (١٩) الناصر، النشاط التجاري، ص ١٠٣.
- (٢٠) رفعت، مرآة الحرمين، ج١، ص ٤٤٠.
- (٢١) الناصر، النشاط التجاري، ص ١٠٣-١٠٤.
- (٢٢) رفعت، مرآة الحرمين، ج١، ص ٤٤١.
- (٢٣) م. ن.، ج١، ص ٤٤١-٤٤٢.
- (٢٤) شمس الدين (ت ٣٩٠هـ / ٩٩٩م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، (القاهرة، دت)، ص ٨٠.
- (٢٥) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٧٩.
- (٢٦) الناصر، النشاط التجاري، ص ٢٦٠.
- (٢٧) سفرنامه، ص ١٦٢.
- (٢٨) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٧٩؛ الفاكهي، ابو عبد الله محمد بن اسحاق، المنتقى في اخبار أم القرى، (بيروت، ١٩٦٠)، ص ٤٤.
- (٢٩) الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ق ٢، ص ١٣٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٨٠.
- (٣٠) الناصر، النشاط التجاري، ص ٢٦١.
- (٣١) م. ن.، ص ٢٦٢.
- (٣٢) الانصاري، عبد القدوس، موسوعة تاريخ مدينة جدة، مطابع الروضة، ط٢، (جدة، ١٩٨٠)، ج١، ص ٧٩.
- (٣٣) المن: وهي وحدة من وحدات الوزن تساوي رطلين، وكل رطل = ١٣٠ درهماً. هنتس، فالتر، المكايل والاوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، (عمان، ١٩٧٠)، ص ٤٥.
- (٣٤) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٩٩؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص ١٢.
- (٣٥) احسن التقاسيم، ص ٩٩.
- (٣٦) تاريخ المستبصر، ص ١٢.
- (٣٧) صبح الاعشا، ج ٤، ص ٢٧٥، ٣٠٢.
- (٣٨) هنتس، الاوزان والمكايل، ص ٣٠-٣١.
- (٣٩) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص ١٢.
- (٤٠) م. ن.، ص ١٢.
- (٤١) الزيلعي، أحمد عمر، مكة وعلاقاتها الخارجية، مطبوعات جامعة الرياض، ط١، (الرياض، ١٩٨١)، ص ١٦٢-١٦٣.
- (٤٢) الفلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤، ص ١٠٥.
- (٤٣) هنتس، الاوزان والمكايل، ص ٥٨.

- (٤٤) وهي من وحدات الكيل والتي كثر استخدامها في بلاد العرب، والصاع الشرعي يتألف من (٤ أمداد)؛ والمد الشرعي كان يساوي في فجر الإسلام وخاصة في المدينة ٤/١ صاع وبذلك فهو يساوي ١.٠٥ هنتس. الاوزان والمكاييل، ص ٧٤.
- المُدّ: ضرب من المكاييل وهو ربع صاع، والجمع امداد ومِدَد. وهو رطل وثُلث عند اهل الحجاز ورطلان عند اهل العراق. وان اصل المُدّ يَقْدَرُ بأن يُمد الرجل يديه فيملاً كفيه طعاماً. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، اعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي، (بيروت، د.ب)، ج ٣، ص ٤٥٤.
- المكوك: طاس يشرب به اعلاه ضيق ووسطه واسع، والمكيال معروف لاهل العراق، والجمع مكاييك وهو صاع ونصف. وهو اسم للمكيال ويختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه في البلاد. ابن منظور، م.ن، ج ٣، ص ٥١٦.
- (٤٥) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٩٨.
- (٤٦) المقرئزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود، تحقيق: السيد محمد بحر العلوم، دار الزهراء، ط ١، (بيروت، ١٩٨٨)، ص ١٥٨.
- (٤٧) هنتس، الاوزان والمكاييل، ص ٧٤.
- (٤٨) تاريخ المستبصر، ص ١٢.
- (٤٩) رحلة ابن جبير، ص ١١١.
- (٥٠) عبد المنعم، صبحي، تاريخ العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والايوبيين، (مصر، ٢٠٠٥)، ص ٢٩٨.
- (٥١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٩٩.
- (٥٢) تاريخ المستبصر، ص ١٢.
- (٥٣) نسبة الى الخليفة العباسي الراضي بالله ٣٢٢-٣٢٩هـ. ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الانجلو المصرية، (مصر، ١٩٥٣)، ص ١٢٨.
- (٥٤) جوه الصقلي: هو ابو الحسن جوه بن عبد الله كان من موالى الخليفة الفاطمي المعز بالله ومقدم جيشه، جهزه إلى الديار المصرية ومعه العساكر بعد موت كافور الاخشيدي، وكان رحيله من افريقية سنة (٣٥٨هـ) وتسلم مصرفي السنة ذاتها وكان حسن السيرة محسناً إلى الناس وتوفي سنة (٣٨١هـ). ينظر: ابن خلكان، شمس الدين احمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٨٩)، ج ١، ص ٣٧٥، الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، سير اعلام النبلاء، حقق الجزء السادس عشر اكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، ط ١، (بيروت، د.ب)، ج ٦، ص ٤٦٧-٤٦٨.
- (٥٥) المقرئزي، اغاثة الامة بكشف الغمة، تحقيق: محمد زيادة وجمال الشبال، (القاهرة، ١٩٤٠م)، ص ١٦-١٧.
- (٥٦) يعقوب بن كلس: هو ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم بن هارون بن داود بن كلس الذي كان يهودياً فأسلم. كان داهية، مأكراً، فطناً، وزر للمعز والعزیز وتوفي سنة (٣٨٠هـ). الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٤٤٢-٤٤٣.
- وعسلوج بن الحسن الونهاجي وهو يهودي الاصل ومن العناصر التي قربها الخليفة المعز الفاطمي وعمل إلى جانب يعقوب بن كلس في الحسبة والشرطتين والجوالي وغيرها في مصر وسائر الاعمال. المقرئزي، اتعاط الحنفا، ج ١، ص ٢١٠.
- (٥٧) ابن ميسر، محمد بن يوسف بن جلب (ت ٦٧٧هـ)، اخبار مصر، تحقيق: ايمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة، ١٩٨١)، ص ١٦٣.
- (٥٨) الوزن الشرعي للدينار الذهبي (٤.٢٥ غم) انظر: الرئيس، محمد ضياء الدين، الخراج في الدولة الإسلامية، (القاهرة، ١٩٥٧)، ص ٢٣٧-٢٣٨.
- (٥٩) احمد، حسن خضيري، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ط ١، (القاهرة، ١٩٩٦)، ص ١٣٤.
- (٦٠) المقرئزي، الخطط المقرئزية، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨)، ج ٢، ص ٩٩.
- (٦١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٩٩.
- (٦٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (القاهرة، ١٨٦٦م)، ج ٤، ص ٩٩؛ العصامي، عبد الملك بن حسين (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، مط السلفية، (القاهرة، د.ب)، ج ٤، ص ١٩٢.
- (٦٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٩٩؛ متز، ادم، الحضارة الإسلامية في القرن ٤ هـ، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريذة، ط ٢، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، (لامك، ١٩٤٨)، ج ٢، ص ٢٧٨.
- (٦٤) الزيلعي، مكة وعلاقاتها، ص ١٦١.
- (٦٥) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الامين، تحقيق: محمد حامد الفقي، مط السنة المحمدية، (القاهرة، ١٩٦٧)، ج ١، ص ١٧٠؛ ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٩م)، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط ١، (جدة، ١٩٨٦)، ج ١، ص ٤٨٥.
- (٦٦) الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ١١٩.
- (٦٧) المقرئزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، أتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، (القاهرة، ١٩٦٧)، ج ٢، ص ٩٥.
- (٦٨) م. ن. ج ٢، ص ٩٥.

- (٦٩) صبح الاعشا، ج ٤، ص ٣٠٢.
- (٧٠) محمد بن جعفر: هو ابو هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن ابي هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن علي بن ابي طالب الحسيني. ولي مكة سنة (٤٥٦ هـ) ودامت ولايته ثلاثين سنة. الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ١٩٦؛ العقد الثمين، ج ٢، ص ١٣٣.
- (٧١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، (حيدر اباد - الهند، ١٣٥٧-١٣٥٩ هـ)، ج ٨، ص ٢٥٦؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ١١٩؛ ابن فهد، اتحاف الوري بأخبار ام القرى، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت، ط ١، (القاهرة، ١٩٨٣)، ج ٢، ص ٥١٥.
- (٧٢) ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م)، المسالك والممالك، مط بريل، (لیدن، ١٨٨٩ م)، ص ١٣٥.
- (٧٣) متز، الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٢٧٢-٢٧٣.
- (٧٤) محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)، تاريخ الرسل والملوك المسمى تاريخ الطبري، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت - لبنان، ١٩٨٧)، ج ٢، ص ١٣٢.
- (٧٥) باقاسي، عائشة، بلاد الحجاز في العصر الايوبي، دار مكة للطباعة والنشر، ط ١، (مكة، ١٩٨٠)، ص ٦٢.
- (٧٦) الانصاري، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ج ١، ص ٩٦-٩٧.
- (٧٧) الفاقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٢٨٥.
- (٧٨) الشعبية: مرسى قديم مقابل وادي المُحَرَّم وقيل انه قبل جدة، وما في تلك النواحي مرسى ادنى منه ولا آمن عاقبة. ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص ٤٢-٤٣.
- (٧٩) الفاكهي، المنتقى في اخبار ام القرى، ص ٤١.
- (٨٠) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٤٧-٤٨.
- (٨١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٥٣.
- (٨٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط ١، (بيروت، ١٩٧١)، ج ٧، ص ١١٥.
- (٨٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ٨٧.
- (٨٤) الحميري، الروض المعطار، ص ٨٧.
- (٨٥) احسن التقاسيم، ص ٩٧.
- (٨٦) نزهة المشتاق، ج ١، ق ٢، ص ١٣٩.
- (٨٧) الناصر، النشاط التجاري، ص ٤١.
- (٨٨) باقاسي، بلاد الحجاز، ص ٦٤.
- (٨٩) الزيلعي، مكة وعلاقاتها، ص ١٧٨.
- (٩٠) الزيلعي، الجار، مكة وعلاقاتها، ص ١٧٨.
- (٩١) صورة الأرض، ص ٣٩.
- (٩٢) الجاسر، حمد، بلاد ينبع " لمحات تاريخية وجغرافية وانطباعات خاصة "، منشورات دار اليمامة، (الرياض، د.ت)، ص ٤٧-٤٨؛ مالكي، سليمان عبد الغني، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط الخلافة العباسية، (الرياض، ١٩٨٣)، ص ٩٠-٩١.
- (٩٣) الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٩؛ الناصر، النشاط التجاري، ص ٩٢.
- (٩٤) تاريخ المستبصر، ص ٥٠.
- (٩٥) الجاسر، بلاد ينبع، ص ٤٩؛ زكي، طرق التجارة الدولية، ص ١٤٠.
- (٩٦) الروض المعطار، ص ١٥٣.
- (٩٧) عمارة اليماني، نجم الدين بن ابي الحسن الحكمي (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م)، تاريخ اليمن، تحقيق: حسن سليمان محمود، (القاهرة، ١٩٥٧)، ص ٤٣.
- (٩٨) تاريخ المستبصر، ص ٥٣.
- (٩٩) صورة الأرض، ص ٣٣.
- (١٠٠) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٦.
- (١٠١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٨٦.
- (١٠٢) احسن التقاسيم، ص ٨٦.
- (١٠٣) الافغاني، اسواق العرب، ص ١٥-١٦.
- (١٠٤) الناصر، النشاط التجاري، ص ٢٠٤.
- (١٠٥) م. ن. ص ٧-٨؛ زكي، طرق التجارة الدولية، ص ١٩١-١٩٢.
- (١٠٦) الزنجبيل: أجوده ما كان طريقاً سالماً من العفونة الكافور: ما حلا ذوقه وعذب ريحه. ينظر: الدمشقي، ابو الفضل جعفر بن علي (ق ٦ هـ / ١٢ م)، الاشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق: البشري الشوربجي، (الإسكندرية، ١٩٧٧)، ص ٣٨، ٤٢.

- (١٠٧) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٩٧؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٨٦؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٢٦، ٢٦٨.
- (١٠٨) الناصر، النشاط التجاري، ص ١٨٧-١٨٨؛ مالكي، بلاد الحجاز، ص ٩٥.
- (١٠٩) المسك: مادة تؤخذ من حيوان خاص يوجد بالتبت والصين وهو أكثر الأشياء غشاً، ولونه يكون إلى الشقرة ورائحته قوية. الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص ٣٦-٣٧.
- (١١٠) الصندل: شجر له رائحة طيبة والاحمر منه يدخل في تركيب الادوية. الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، هامش ص ٣٩.
- العنبر: مادة صلبة تشبه الشمع، أجوده ما جلب من شجر عمان وخير أوصافه الخفة والبياض. م. ن، ص ٣٧.
- (١١١) ابن خردادبة، المسالك والممالك، ص ٧٠.
- (١١٢) م. ن، ص ١٨٨.
- (١١٣) الناصر، النشاط التجاري، ص ١٨٨.
- (١١٤) أشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الشرق الاوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي علية، مراجعة أحمد غسان سبانو، (دمشق، ١٩٨٥)، ص ٢٤٦-٢٤٧.
- (١١٥) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٩٧.
- (١١٦) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١١٣.
- (١١٧) الجندي، ابو عبدالله بهاء الدين محمد (ت ٧٣٠هـ-٧٣٢هـ) السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، (صنعاء، بيروت، ١٩٨٣/ ١٩٨٩)، ج ١، ص ٣٧١.
- (١١٨) تاريخ المستبصر، ص ٩٧-٩٨.
- (١١٩) اليعقوبي، احمد بن واضح (ت ٢٩٢هـ)، البلدان، نشر: دي غويه، (بريل، ليدن، ١٨٩١-١٨٩٢)، ص ٣٥.
- (١٢٠) ابن فهد، غاية المرام، ج ١، ص ٥٠٢.
- (١٢١) يذكر ان عمارة اليمن في سنة ٥٥٠هـ ادى فريضة الحج وصادف في هذه الاثناء، ورود أمر الخليفة العباسي إلى امير الحرمين يأمره بأن يركب على باب الكعبة باب ساج جديد قد أليست جميع خشبه فضة وطلبت بالذهب، على ان يأخذ حلية الباب القديم لنفسه ويرسل له خشب الباب إلى بغداد ليحمله تابوتاً يدفن فيه الخليفة العباسي عند موته. النكت العصرية في اخبار الوزارة المصرية، (باريس، ١٨٩٩)، ص ١٤١.
- (١٢٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٩٧.
- (١٢٣) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١١٣.
- (١٢٤) الجندي، السلوك، ج ١، ص ٣٧١.
- (١٢٥) تاريخ المستبصر، ص ٩٧-٩٨.
- (١٢٦) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٥.
- (١٢٧) الناصر، النشاط التجاري، ص ٢٠٤-٢٠٥.
- (١٢٨) انظر: المرجع نفسه، ص ٢٠٥.
- (١٢٩) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام، وهي آخر غزوات الرسول ﷺ عندما توجه إليها سنة (٩هـ). ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط ٢، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٥)، ج ٢، ص ١٤.
- المحدث: هو ماء نخل في بلاد العرب ولها جبل يسمى عمود المحدث. ياقوت الحموي، م. ن، ج ٥، ص ٦٠.
- الافرع: جبل بين مكة والمدينة. م. ن، ج ١، ص ٢٣٦.
- (١٣٠) وادي القرى: واد بين المدينة والشام من اعمال المدينة كثير القرى. م. ن، ج ٥، ص ٣٤٥.
- (١٣١) الرحبية: موضع من نواحي المدينة. م. ن، ج ٣، ص ٣٧.
- (١٣٢) السويداء: بلدة في ديار مضر قرب حران وفيها خيرات كثيرة. م. ن، ج ٣، ص ٢٨٦.
- (١٣٣) ابن خردادبة، المسالك والممالك، ص ١٥٠.
- (١٣٤) علي، المفصل، ج ٧، ص ٢٩٣.
- (١٣٥) علي، المفصل، ج ٧، ص ٢٩٣؛ السباعي، تاريخ مكة، ج ١، ص ٤٠.
- (١٣٦) الطور: ساحل في جانب الرأس الداخل في بحر القلزم، ويقع في ارض مصر القبلية بالقرب من جبل فاران. ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣، ص ٥٣٧.
- أيلة: وهي آخر الحجاز وأول الشام وهي من تخوم الحجاز، تقع على الطرف الشمالي للبحر الاحمر. الحميري، الروض المعطار، ص ٧١؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣، ص ٤٤٤؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٩٢.
- (١٣٧) أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص ٣٩٣.
- (١٣٨) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٠٤.
- (١٣٩) الشوربجي، امنية احمد، رؤية الرحالة المسلمين للاحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، (مصر، ١٩٩٤)، ص ٣٨٣.

- (١٤٠) صبح الاعشا، ج٣، ص ٥٢٠.
- (١٤١) السويس: تقع على ساحل بحر القلزم من جهة مصر، وهي ميناء اهل مصر إلى مكة والمدينة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٨٦.
- (١٤٢) عيذاب: مدينة في أعلى الصحراء المنسوبة اليها على ضفة بحر القلزم، وهي مرسى للمراكب القادمة من عدن وتسير منها المراكب إلى سواكن. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ١٧١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٢٣؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٣٢.
- (١٤٣) ينبع: تقع على ساحل البحر الاحمر بالقرب من المدينة المنورة، وسميت بذلك لكثرة ينابيعها. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٤٥٠.
- (١٤٤) الجب: أرض جب عميرة وهو ابن تميم بن جزء النجيب من بني القرناء نسبت هذه الأرض اليه فليل لها أرض جب عميرة وتقع خارج الفسطاط وهو مكان لاقامة القوافل او العساكر المتجهة إلى الشام أو الحجاز. ياقوت، م. ن، ج٢، ص ١٠٠.
- البويب: مدخل أهل الحجاز إلى مصر. ياقوت، م. ن، ج١، ص ٥١٢.
- (١٤٥) مدين: وهي مدينة قوم شعيب، على بحر القلزم محاذية لتبوك. ياقوت، م. ن، ج٥، ص ٧٨.
- شغب: ضيعة خلف وادي القرى كانت للزهري وبها قبره. ياقوت، م. ن، ج٣، ص ٣٥٢.
- (١٤٦) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٤٩.
- (١٤٧) القراطيس: مفردا قرطاس، وهي الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها. ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص ١٧٢.
- (١٤٨) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص ١٤٢.
- (١٤٩) احسن التقاسيم، ص ٩٥.
- (١٥٠) المقرزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٢٤٦.
- (١٥١) ناصر خسرو، سفرنامه، ترجمة: يحيى الخشاب، ص ١١٢.
- (١٥٢) م. ن، ص ١١٩.
- (١٥٣) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٨٧.
- (١٥٤) عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٣٠٨.
- (١٥٥) اتحاف الوري، ج٢، ص ٥٢٩.
- (١٥٦) السباعي، تاريخ مكة، ج١، ص ٤٠؛ اشتور، التاريخ الاقتصادي، ص ٤١٠.
- (١٥٧) اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٢٧٧.
- (١٥٨) الحيرة: مدينة تقع على بعد (٣ أميال) من الكوفة في موضع يُقال له النجف، وكانت قديماً مسكن لملوك العرب. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٢٨.
- (١٥٩) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص ٢٦.
- (١٦٠) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٩٧.
- (١٦١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص ٩-١٣.
- (١٦٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٢٩.
- (١٦٣) السباعي، تاريخ مكة، ج١، ص ٤٠.
- (١٦٤) القادسية: وهي من مناطق ركب الحاج العراقي، وحدثت بها موقعة بين المسلمين والفرس. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٢١٩.
- الذيب: تصغير عذب وهو الماء الطيب، وهو ماء بين القادسية والمغيثة من منازل حاج الكوفة. ياقوت، م. ن، ج٤، ص ٩٢.
- (١٦٥) الثعلبية: وهي من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق. ياقوت، م. ن، ج٢، ص ٧٨.
- فيد: مكان قريب من أجا وسلمى (جبل طيء)، تقع على منحدر جنوب سلمى الجنوبي الشرقي وهو منزل منتصف طريق مكة - الكوفة. ياقوت، م. ن، ج٤، ص ٢٨٢.
- معدن النقرة: وهي كل أرض متصوِّبة في ودة فهي نقرة، وسميت النقرة بطريق مكة التي يقال لها معدن النقرة. ياقوت، م. ن، ج٥، ص ٢٩٨.
- (١٦٦) بطن نخل: جمع نخلة قريبة من المدينة. ياقوت، م. ن، ج١، ص ٤٤٩.
- (١٦٧) ابن جعفر، قدامة الكاتب البغدادي (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، الخراج وصناعة الكتابة، (ليدن، ١٩٦٧)، ص ١٨٥؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٣٥-١٣٧.
- (١٦٨) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٣٨.
- (١٦٩) الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحرات ٢٥٥هـ، التبصر بالتجارة تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، (دمشق، ١٩٣٢م)، ص ٣٣.
- (١٧٠) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٢٨.

- (١٧١) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢٩ .
- (١٧٢) رفعت ، مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٤٤٠ .
- (١٧٣) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢١ ، الناصر ، النشاط التجاري ، ص ٢١٨ .
- (١٧٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، الافغاني ، اسواق العرب ، ص ٨٧ ، ٩١ ، ١٠٣ .
- (١٧٥) الطبري ، م.ن ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ .
- (١٧٦) الناصر ، النشاط التجاري ، ص ١٨٣ .
- (١٧٧) حسن ، ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٣ ، دار الجيل ، (بيروت - القاهرة ، ١٩٩١) ، ج ١ ، ص ٦٤ .
- (١٧٨) لبيب ، صبحي ، التجارة الكارمية ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٤ ، ع ٢ ، ١٩٥٢ ، ص ٢١ .
- (١٧٩) زيادة ، نقولا ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، دار الكتاب اللبناني (بيروت ، ١٩٦٢) ، ص ٢١٩ .
- (١٨٠) حتي ، فيليب ، تاريخ العرب موجز ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٦٥) ، ص ٨١ .
- (١٨١) تاريخ المستبصر ، ص ٩٨ .
- (١٨٢) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٥٦ .
- (١٨٣) زكي ، طرق التجارة ، ص ٢٤١ .
- (١٨٤) الزهري ، ابو عبدالله محمد بن ابي بكر (ت ٥٥٠هـ) ، الجغرافية ، تحقيق : محمد حاج صادق ، (دمشق ، ١٩٦٨) ،
- (١٨٥) السباعي ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٤٠ ؛ أشتور ، التاريخ الاقتصادي ، ص ٤١٠ .
- (١٨٦) ابو عبدالله بن عبدالعزيز ٤٨٧هـ / ١٠٩٤ م ، المسالك والممالك ، تحقيق : اديان فان واندرلي فاري ، الدار العربية للكتاب (قرطاج ، ١٩٩٢) ، ج ١ ، ص ٣٧٩ ، الزيلعي ، مكة وعلاقتها ، ص ١٨٦ .
- (١٨٧) فاروق ، احمد ، دباغة الجلود وتجاريتها في مستهل الاسلام ، مجلة العرب ، ج ٧ و ٨ ، (الرياض ، ١٩٧٦ م) ص ٥٤٨ - ٥٥٤ .
- (١٨٨) فاروق ، دباغة الجلود ، ص ٥٤٨ - ٥٥٤ .
- (١٨٩) للمزيد انظر : ابراهيم ، محمد كريم ، الفعاليات الاقتصادية لميناء عدن خلال القرنين ٥ ، ٦ هـ ، مجلة المؤرخ العربي ، ع ٣٥ ، س ١٤ ، (بغداد ، ١٩٨٨) ، ص ١٨٠ .
- (١٩٠) تبالة : بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩ .
- بيشة : قرية من ارض اليمن وهي واد يأتيه من جبل الحجاز يشتهر بالحدائق . ياقوت ، م.ن ، ج ١ ، ص ٥٢٩ .
- (١٩١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٣٤ .
- (١٩٢) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٢٧ ؛ ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٨٨ .
- (١٩٣) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٢٧ .
- (١٩٤) الخزرجي ، شمس الدين علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ) ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تصحيح : محمد بسيوني عسل ، (القاهرة ، ١٩١١) ، ج ١ ، ص ١١٨ .
- (١٩٥) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٨٩ ، ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ١١١-١١٢ .
- (١٩٦) تاريخ المستبصر ، ص ٩٨ .
- (١٩٧) زيادة الجغرافية والرحلات ، ص ٢٤-٢٥ .
- (١٩٨) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٣٢ ، زيادة الجغرافية والرحلات ، ص ٢٤-٢٥ .
- (١٩٩) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٠٩ .
- (٢٠٠) الواقدي ، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ) ، فتوح الشام ، (القاهرة ، ١٣٧٣ هـ) ، ج ١ ، ص ١٤ .
- (٢٠١) ابن خرداذبة ، المالك والممالك ، ص ١٤٧ .
- (٢٠٢) من بلاد غطفان وهو في طريق اليمن إلى مكة . الاصفهاني ، الحسن بن عبد الله (ت بعد ٢٥٠هـ) ، بلاد العرب ، تحقيق : صالح احمد العلي وحمد الجاسر ، ط ١ ، (الرياض ، ١٩٦٨) ، ص ٤١٥ .
- (٢٠٣) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٤٧ .
- (٢٠٤) الاصطخري ، ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٦هـ) ، مسالك الممالك ، (لندن ، ١٩٢٧) ، ص ٢٨ .